تحقيق نصوص

المقابسات

الدكتور عبد الرزاق محيي الدين

كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي نشر مرتين : مرة في الهند على الحجر عام ١٣٠٦ هـ ، ومرة في مصر بتحقيق الاستاذ السندوبي ١٩٢٩ وهو في كلتيهما محرّف ومغلوط . وقد بذلت جهداً في تصحيح « المقابسات » على مخطوطات مختلفة . راجع مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الثاني الصادر في ١٩٥٢ وفي ص ٣٢٨ — ٣٣٧ فهناك تحقيق وافٍ عن أصول الكتاب .

ونستأنف في هذا العدد والاعداد التي تليه نشر ما حرّر من بقية المقابسات . والرموز التي في الهامش تشير إلى المصادر التي رجعت اليها في تصحيح النصوص .

١ — النسخة الحجرية الهندية رمزت لها د هـ .

٢ — النسخة المصرية « نشر السندوبي » وقد رمزت لها بـ ط م .

٣ — مخطوط المكتبة الظاهرية رمزت لها بـ ظ .

٤ — مخطوط تيمور في دار الكتب المصرية وتحت رقم ١٧٥ مجاميع تيمور رمزت لها بـ « ت » .

٥ — المخطوطتان اللتان بدار الكتب من كتاب «منتخب صوان الحكمة» رمزت لكل منها بـ «م» موصولاً بالرقم الذي تحمله النسخة .

٦ — اخبار الحكماء للقفطي وقد انتفعت بها في تصحيح سطور من المقابسة الثانية .

وهذه هي المقابسات .

المقابسة السابعة عشرة (*)

في هل ما عليه الناس من السيرة والاعتقاد حق كله أو اكثره حق ، أو باطل كله أو أكثره باطل ؟ .

« سئل ابن سوّار [1] وكان عند [2] ابن السمح [3] بباب الطاق : —

هل ما فيه الناس من السيرة ، وما هم عليه من الاعتقاد ، حق كله ، أو أكثره حق ، أو كله باطل أو أكثره !

فقال : المسألة هائلة ، والجواب هيّن .

قيل : أفدنا [4] ، أفادك الله ، فان ركيّة العلم لا تنزح وان اختلفت عليها الدلاء ، وكثر على حافاتها الورّاد [5] .

فقال : صدقتم ، واعلموا انه إذا لحظ استيلاء الطبيعة عليهم ، وغلبة آثارها فيهم ، في الرأي والمعتقد ، والسيرة المؤثرة ، فأكثر ذلك باطل ، لأن سلطان العقل في بلاد الطبيعة غريب ، والغريب ذليل ، وان لحظ حكم العقل ، وما يجب به ، ويليق بجوهره ، ويحسن مضافاً اليه ، فأكثر ذلك حق ، كان الملحوظ رأياً أم سيرة [6] ، وعادة ام [7] خليقة ، وعلى

(*) صححت على منتخب صوان الحكمة م ١ و) ١١٠ (ج) : ١٠٦ .

(١) هو أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام ، ويعرف بابن الخمار ، ترجم له في هامش المقابسات ص ١٦٠ ط مصر .

(٢) لم توجد في ط م .

(٣) هو أبو علي بن السمح البغدادي المنطقي ترجم له في هامش المقابسات ص ١٦٠ .

(٤) في م و : « فأفدنا » .

(٥) في ط م : « الواردة » .

(٦) في ط م : « وسيرة » .

(٧) في ط م : « أو » .

هاتين الغلبتين[1] يكون القضاء ، ويقع الحكم ، والحق لا يصير حقاً بكثرة معتقديه ، ولا يستحيل باطلاً بقلّة منتحليه ، وكذلك الباطل ، ولكن قد يظن بالرأي الذي قد سبق اليه الاتفاق من جلة الناس وأفاضلهم ، انه أولى بالتقديم والإيثار ، وأحقّ بالتعظيم والاختيار ، لأنه يكون [مخبوراً بالفلي [2]] مصقولاً على الزمان ، تلمسه كل يد ، وتجتليه كل عين ويصير ثباته على صورته الواحدة دليلاً قوياً ، وشاهداً زكياً على حقيقته ، لأنه يبرأ حينئذ من هوى صاحبه [3] ، ويعرى من تعصب ناصره ، ويبقى بصورته الخاصة ، ويجري مجرى السبيكة [4] التي لا تحتاج الى علاج المعالج ، وتمويه المموّه ، وانتقاد المنتقد ، وتنفيق المنفِّق ، وحيلة المحتال » .

المقابسة التاسعة عشرة (*)

> في السماع والغناء ، وأثرهما في النفس ، وحاجة الطبيعة الى الصناعة <

« خرج أبو سليمان [5] يوماً ببغداد الى الصحراء ، بعض أيّام الربيع ، قصداً للتفرج والمؤانسة [مع عدة من أصحابه ، وفي جملتهم صبيّ دون البلوغ [6]] جهم الوجه ، بغيض المحيّا شتيم المنظر ، ولكنه كان مع هذه العورة يترنم ترنّماً نديّاً ، عن جرم ترف ، وصوت شج ، ونغمة رخيمة ، وكان معه [7] جماعة من طراق المحلّة [وفتيان السكة ، ليس فيهم الا من تأدب أدباً يليق به ويغلب عليه [8]] فلمّا تنفس الوقت أخذ الصبيّ في فنه ،

---

(١) في ط م : « والقبيلتين » . (٢) في ط م : مجبوراً بالفكر .

(٣) في ط م : « منتحلة » ، وهو من تصرف الناشر ، وآثرنا كلمة صاحبه لأنها مأثورة في النصوص .

(٤) في ط م : » المكينة » .

(* صححت على منتخب صوان الحكمة م (و) ورقة ٩٨ .

(٥) هو أبو سليمان المنطقي .

(٦) ما بين القوسين من م (و) ويقابله في ط م : « وصحبته وكان معنا أيضاً صبي دون البلوغ » .

(٧) في ط م : معنا . (٨) ما بين القوسين من م (و) .

وبلغ أقصى ما عنـــده ، فترنح أصحابه [١] وتهادوا وطربوا . [قال أبو زكريا الصيمري : قلت [٢]] لصاحب لي ذكي : أما ترى ما يعمل بنا شجا [٣] هذا وندى هـــذا الحلق ، وطيب [٤] هذا اللحن ، وتفنن هذه النغم [٥] ؟

فقال : لو كان لهذا من يخرّجه ويعنى به ، ويأخذه بالطرائق المؤلفة ، والألحان المختلفة ، لـكان يظهر آية ، ويصير فتنة ، فإنه عجيب الطبع ، بديع الفن ، غالب [الدَّنَفِ والترف [٦]] .

فقال أبو سليمان فلتةً : حدثوني [٧] بما كنتم فيه عن الطبيعة ، لم احتاجت الى الصناعة
2 وقد علمنا أن الصناعـة تحكي الطبيعة وتروم اللحاق بها ، والقرب منهـا ، على سقوطها دونها . وهذا رأي صحيح ، وقول مشروح ، وإنما حكتها وتبعت رسمها ، وقصت أثرها لانحطاط رتبتها عنها ، وقد زعمت أن هذا الحدث لم تـكفه الطبيعة ولم تغنه [٨] ، وانها قد احتاجت الى الصناعة ، حتى يكون الـكمال مســتفاداً أو مأخوذاً من جهتها ، والغاية مبلوغة بمعونتها وإمدادها [٩] .

فقلنا له : ما ندري ، وإنها لمسألة !

فقال : فـكروا . فعدنا [١٠] له وقلنا : إنا قد بلحنا [١١] ، ولو مننت بالبيان ، ونشطت

(١) في ظ م : أصحابنا .

(٢) ما بين القوسين من م (و) ويقابله في ط م : « فقلت » .

(٣) « شجن » . في ط م .

(٤) في ط م : « وطيبة » .

(٥) في ط م : « النغمة » .

(٦) في ط م : « غالب الدين والشرف » . ولا معنى له .

(٧) في م (و) : « حدثوني على » .

(٨) في ط م بعد هذه الكلمة جملة : « ولم تعنيه » ، ولا توجد في النسخ الاخرى .

(٩) في ط م « واصدارها » .

(١٠) في ط م : « قعدنا » .

(١١) في ط م : « ثلجنا » . ولا معنى له .

لنشر الفائدة كان ذلك محسوباً في بيض [1] أياديك وغرر فضائلك .

فقال : إن الطبيعة إنما احتاجت الى الصناعة في هذا المكان ، لأن الصناعة ها هنا تستملي من النفس والعقل ، وتملي على الطبيعة ، وقد صح ان الطبيعة مرتبتها دون مرتبة النفس [والعقل ، وانها تعشق النفس [2]] وتمتثل أمرها ، وتكمل بإكمالها [3] وتعمل على استعمالها ، وتكتب بإملائها ، وترسم بإلقائها ، والموسيقى حاصل للنفس ، وموجود فيها ، على نوع لطيف ، وصنف شريف ، فالموسيقار إذا صادف طبيعة قابلة ، ومادة مستجيبة ، وقريحة مواتية ، وآلة منقادة ، أفرغ عليها بتأييد العقل والنفس لبوساً مؤنقاً ، وتأليفاً معجباً ، وأعطاها صورة معشوقة . وحلية مرموقة ، وقوته في ذلك تكون بمواصلة النفس الناطقة ، فمن هنا احتاجت الطبيعة الى الصناعة ، لأنها وصلت الى كمالها من ناحية [4] النفس الناطقة ، بواسطة الصناعة الحاذقة [5] ، التي من شأنها استملاء ما ليس لها ، واملاء ما يحصل فيها ، استكمالاً بما تأخذ ، وإكمالاً [6] لما تعطى » .

فقال له البخاري — وكان من تلامذته : — « ما اشكرنا على هذه الصلات السنية ، وما أحمدنا لله على ما يهب لنا منك من هذه الفوائد الدائمة » .

فقال : [يا [7]] هذا ، بكم اقتبست ، وبحجركم قدحت ، والى ضوء ناركم عشوت ، واذا صفا ضمير الصديق للصديق ، أضاء الحق بينهما ، واشتمل الخير عليهما ، وصار كل واحد منهما ردءً لصاحبه ، وعونا على قصده وسبباً قوياً في نيل إرادته ، ودرك بغيته ، ولا عجب من هذا ، فالنفوس تتقادح ، والعقول تتلاقح ، والألسنة تتفاتح ، وأسرار هذا الانسان الذي هو العالم الصغير في هذا العالم الكبير ، كثيرة جمة ، واسعة مثبتة ، وإنما يحتاج

---

(1) في م (و) : « فيض » .

(2) ما بين القوسين من م (و) ، م (ج) .

(3) في ط م : « بكمالها » .

(4) في م (و) م (ح) : « ناحية » .

(5) في ط م : « الحادثة » .

(6) في ط م : « وكمالا » .

(7) لم توجد في ط م .

الناظر في هذا النمط الى عنايته بنفسه في طلب سعادته ، ورعايته لحاله في السلوك الى غايته ، غير عائج على زهرة العين ، ونضرة الحس ، ولذة الوقت ، فإنه بهذه المقدمات يصل الى تلك الغايات ، ويجنى تلك الثمرات ، ويجد تلك السكاين ، مرتفعاً عن هذه الأقذاء والقاذورات

وأول هذا الأمر وآخره بالله ومن الله . اللهم طهر قلوبنا من ضروب الفساد ، وحبب الى أنفسنا طرائق الرشاد ، وكن لنا دليلاً ، وبنجاتنا كفيلاً ، بمنك وجودك اللذين ماخلا منها شيء من خلقك العلوي والسفلى ، ولا فاتا شيئاً [1] من صنعك الجلى والخفي ، يا من الكل به واحد ، وهو في الكل موجود [2] » .

هذا ما خلص من هذا الاجتماع ، وهو ظاهر الشرف ، أثبت به على ما لقنته [3] . فأشركني في استحسانه وقبوله ، وكن معيناً على طلب نظيره ، فالتعاون [4] على الخير ، والتناصر على البر سيرة الفاضلين ، وعادة أهل التقى والدين » .

المقابسة السادسة والعشرون (*)

< في أن اليقظة التي لنا بالحس هي النوم ، والحلم الذي لنا بالعقل [5] هو اليقظة >

« سمعت أبا إسحق الصابي الكاتب يقول : رأيت ثابت بن قرة الحراني في المنام ، قاعداً على سرير في وسط دجلتنا هذه ، وحوله ناس كثير ، كأن كل واحد منهم من قطر وهم على خلق مختلفة وهو يعظهم [ويبتسم الي [6] خلال] وعظه وكلامه ، وحصلت منه نكتة شريفة ، ذهبت مني في اليقظة وساءني ذلك جداً [7] . وكنت اسرح فكري [8]

---

١) في ط م : ولا فاتنا شيء .

٢) في م (و) ، م (ج) « موحد » .

٣) في ط م : « لقيته » .

٤) في ط م : « فالتعاقب » .

(*) صححت على منتخب صوان الحكمة م (و) : ٩٢

(٥) في ط م : « بالفعل » .

(٦) في ط م : « وينسبهم في خلال » .

(٧) في ط م : « هذا » .

(٨) في ط م : « تفكيري » .

كثيراً في الظفر بها ، والوقوع ، عليها فلا يعود بطائل، فلما كان بعد دهر ، وبعد اختلاف احوال ، ذكرت أنه قال لي [1] :ـ

خذ يا ابراهيم ثمرة الفلسفة من هذه الكلمات الشافيات [2] التي هي خير لك من أهلك وولدك ، ومالك ورتبتك .

إعلم أن اليقظة التي هي لنا بالحسّ هي النوم ، والحلم الذي لنا بالعقل [3] هو اليقظة ، ولغلبة الحسّ علينا قد اتفقنا أن الأمر بخلاف هذا ، وإلا فغلّب العقل مكان الحسّ ينصدع لك الحق في هذا الحكم [4] فاذا وضح هذا [فبالواجب ينبغي ان ينفض من الحسّ [5]] وان ظننا ان اليقظة من ناحيته ، ويتلبس [6] بالعقل وان ظننا ان الحلم من ناحيته .

وكان أبو اسحق يقول : وهذه النكتة مفروشها [7] واسع ، ولكن بقي ان تفهم منتفَعاً بها ، وتسمع على وجه التقبل لها ، لا على معنى الاعتراض لها .

الفلسفة هي لطائف العقل ، فكل من لطف وصل اليها ، ولُطْفُ الانسان في طلبها هو تأتيه عند التفهم ، وصبره عند الطلب ، وثباته [8] على السيرة التي ندب اليها المشفقون الناصحون ، فان النفس تزكو عند ذلك ، والصدر ينشرح ، والخاطر يتوالى ، فلن يبقى حينئذ باب إلا انفتح ، ولا مشكل إلا وضح » .

---

(١) لم توجد في ط م .

(٢) « الشافية » في ط م .

(٣) في ط م : « الفعل » .

(٤) في ط م : الحلم .

(٥) ما بين القوسين من نسخ منتخب صوان الحكمة ويقابله في ط م : فبالواجب ان ينبغى ان ينقص من الحس » . وهو كما ترى .

(٦) في ط م : « ويلتبس »

(٧) في ط م : « مفروشيها » ولا معنى له .

(٨) في ط م : « وشأنه » .

قسم من المقابسة التاسعة والعشرون *

> في ان الفاعل الأول هو علة المحسوسات والمعقولات <

« سمعت النوشجاني يقول : قد وضح بالعبرة الصحيحة ، والتصفح الشافي ، والنظر البليغ ، ان الفاعل الأول الذي (١) هو علة كل ما يرى ويوجد ، ويعقل ويحسّ ، لا قصد له في أفعاله [ولا غرض ولا مراد ، ولا اختيار ولا روية ، ولا توجّه ولا عزيمة ولا معالجة ولا مباشرة (٢)] ولا مزاولة ولا محاولة .

فقال بعض الحاضرين : لو أيدت هذا القول ببرهان ساطع ، أو بدليل مقنع ، كنت قد (٣) شيدت ما أسست ، وقويت ما بنيت (٤) .

فقال : إن (٥) هذه كلها دخلت افعالنا [وتخللت أحوالنا (٦)] لعجزنا وفُسولتنا ، وانحطاطنا وضعفنا ، وتهافتنا وتحوّلنا ، وتبدلنا وسيلاننا [وبطلاننا (٧)] فانجبرت (٨) مكاسرنا بها ، وتمت مناقصنا (٩) بمواصلتها ، وانسدّت مفاقرنا باستعمالها ، فاما الباري الحق الذي هو واهب كل كامل كماله ، وجابر كل ناقص نقصه ، فهو (١٠) عليّ عن الاغراض والعلل ، والمسالك والسبل (١١) .

فقال له السائل : فكيف اتفقنا على أنه منعوت بالحكمة ، وافعاله على ما زعمت ؟ وكيف

(*) صحح هذا القسم على منتخب صوان الحكمة م و : ١١٣ ، م (ج) :

١) في ط م لم توجد كلمة الذي .
٢) ما بين القوسين تفردت به ط م .
٣) تفردت بها ط م .
٤) في م و ، م ج : ما ابتنيت .
٥) في م (و) : « لأن » .
٦) تفردت بها م (و) م ج .
(٧) في مكان الكلمة بياض في ط م وقد ملأته من (و) ، م ج .
٨) في ط م : « وجبرت » .
٩) في ط م : نواقصنا .
١٠) في م (و) ، م (ج) لم توجد .
١١) لم توجد في ط م .

يبان عن هذا [حتى تخلص خوائن اللحظ من القلوب [1]] وشوائن اللفظ من الالسنة .

فقال : لعمري ، إن في ايضاحه لصعوبة وعسراً ، وان كان العقل قد قضى بما قدمته ، وعلى صعوبة ذلك ، فأني أؤلف على التقريب قولا عسى ان يكون للسامع فيه رضى ومقنع ان لم يكن فيه [مروى ومشبع [2]] » .

قسم من المقابسة الواحدة والثلاثون *

> في أنه لو اقتضت إرادة الباري عدم البعث والنشر لما قدح ذلك في ألوهيته <

« سمعت مقداداً يقول : لو انتهى غرض [من تقدس وعلا [3]] في الانسان مع هيئته المعروفة ، وحليته المألوفة ، الى أن يموت ثم لا يكون له بعث ولا نشور ، ولا معاد ولا منقلب ، لما كان ذلك قادحاً في إلٓهيته ، ولا متحيفاً لطرف من أطراف حكمته ، ولا معانداً لما يليق بربوبيته ، فكيف وقد نصب العلامات ، وأحضر [4] الشواهد والبينات ، وأقام البراهين [5] والآيات ، على تحقيق المعاد ، وحصول السعادة والشقاء ، بحسب الصور الموجودة لواحد واحد ؟

ثم قال : لو سألنا العقلاء بأسرهم ، أو سألنا [6] أعقلهم فقلنا :

« ما تقول في بدنك إذا بطل بأسره ، ولم يبق منه شيء ، إلا العين التي من شأنها ان تبصر الاشياء ؟ فان جوابه لا يعدو أن يكون : « اذا لم يكن بد من فناء جميع البدن

---

١) ما بين القوسين في ط م : حتى يخلص من خوائن اللحظ والقلوب وفي م (و) م (ج) : «حتى تخلص من خوائن اللحظ من القلوب » وقد فضلت ما اثبت لسياق الكلام .

٢) في ط م : « مرأى ومسمع » ، ولا معنى له ، والتصحيح من م (و) ، م (ج) .

* صححت على منتخب صوان الحكمة م (و) : ١٠٧ ، م (ج) : ١٥٢ .

٣) في م (و) ، م (ح) : « الباري تعالى » ٤) في ط م : « وأحكم » .

٥) في ط م : « البرهان » ٦) في ط م : « وسألنا » .

بأجزائه ، فلأن تبقى العين ، وهي اشرف ما فيه أو السمع [وهو نظيرها في الشرف[١]] خير من ألا يبقى شيء ، ويبيد كله ويضمحل جميعه » .

قال : فيقال له : فكذلك النفس في بقائها بعد أن يصرّح عنها قشورها ، وتفارق مختارة لبوسها » .

قال : وإنما ضربت هذا المثل ، [وعرضت[٢] هـذا] التشبيه لانه قال لي قائل : الانسان لا يبقى، واذا لم يبق الانسان فأيّ فائدة فيما يبقى منه ، أوله أو [به[٣]] » ؟ قال : وهكذا[٤] لو ضرب المثل بمن له ولد ، أعني لو قيل : « لا سبيل إلى بقائك بذاتك ، لانك لا تحتمل ذلك بعنصرك ولـكن يبقى بعدك ولدك الذي هو بضعة منك ، وفاضل عنك ، لآثر بقاء ولده من بعده إيثاراً حسناً ، طيب النفس به ، فانه يرى أن ولده منه ، أو هو هو لأنه يراه[٥] مصاصته وخلاصته ، وبصاصته[٥] وسلالته ، ولا يكاد يفصل بينه وبين نفسه إلا [بالشخص] فقط » .

المقابسة الرابعة والثلاثون *

> في أن الموجود على ضربين : موجود بالحسّ وموجود بالعقـل <

« سمعت البديهيّ يقول — وكان صحب يحيي بن عدي دهـراً ، وهو حملني بدعوته اللطيفة الى مجلسه — :

١) ما بين القوسين من م (و) ، م (ح ' وفي ط م : وهو في الشرف (بمكان) » .

٢) في م (و) ، م ج : « وعرف بهذا » ٣) في ط م « أو آخره » ولا معنى له .

٤) في ط م : « وهذا » .

٥) في ط م : « يرى » .

٦) في م (و) ، م (ج) : نضاضته » . وكلاهما يتم به المعنى .

٧) في ط م : « بالشخص والشخص » .

* صححت على منتخب صوان الحكمة م (و) ١١٢ ، م (ج) : ١٦٠ .

« من البين أن الموجود على ضربين : موجود بالحسّ ، وموجود بالعقل ، ولكل واحد من هذين الموجودين وجود بحسب ما هو به موجود ، إما حسّ واما عقليّ . فعلى هذا : النفس لها عدم في أحد الوجودين [1] وهو الحسّ ، ولها وجود في القسم الآخر [وهو العقلي ، وقد كان الدليل على هذه الحال حاضراً في هذا العالم ، وذلك أنها كانت [2]] [تنقل وتستنبط ، وتعقل وتستبطن [3]] ، وتنظم المقدمات وتدل على ينابيع المعلومات ، وتعلو الى غاية الغايات ، وليس للحس معها شركة ، ولا له عندها معونة ومادة ، فكيف لا تكون النفس التي هذا [4] عنوان كتابتها ، وصريح كنايتها ، وفاضل عنايتها ، بعد مفارقة القشور والحواجز ، والحيطان والحواجب ، والغواشي والملابس ، عن الحسّ أغنى ، وبجوهرها أعلى ، وبخاصتها أسنى ، وهذه الأشياء عنها أبعد ، وعن شرفها أهبط ؟ وهل هذه الشهادة الا عادلة ، وهذه البيِّنة الا مقبولة ، وهذا الحكم الا مرضيّ ، وهذا المثال إلاّ بيّن ؟ .

ثم قال : ولطائف الحكمة لا يصل اليها الحسّ الجافي ، والغليظ الجلف ، والفدم العبام [5] ، والهلباجة العلفوف ، وانما تعرض لمن [6] صحّ ذهنه ، واتسع فكره ، ودقّ بحثه ، ورق تصفحه ، واستقامت عادته ، واستنار عقله ، وعلت همته ، وخمد شرّه ، وغلب خيره ، وأصل رأيه ، وجاد تمييزه ، وعذب بيانه ، وقرب إتقانه .

قيل له : « هذا عزيز جداً [7] » . قال : [كما ان المشتبه به في هذا عزيز جداً [8]] .

---

(١) في م ط : « الموجودين » . (٢) ما بين القوسين تفردت به ظ م .

(٣) في ط م : « تنقله وتستنبطه ، وتعقل وتستبطن » .

(٤) في ط م : « هو » . (٥) في ط م : والغليظ الفدم والجلف العبام » .

(٦) في م (و) ، م و ح) مق

(٧) في ط م : « جداً الآن » .

(٨) ما بين القوسين من نسخة م (و) ، م (ح) .

واتباع في هذا الفن وتمطى ، وحاز كل غاية وتخطى ، ومحصولي من ذلك ما سمعته الآن وترى [1] .

نفعنا الله به ، وحلانا بأزينه ، وأسعدنا بقبوله .

المقابسة السابعة والثلاثون *

< في أن الانسانية افق ، والانسان متحول الى افقه بالطبع >

« قال ارسطوطاليس — فيما ترجم من كلامه عيسى بن زرعة المنطقي البغدادي أبو علي — :

الانسانية أفق ، والانسان متحرك الى أفقه بالطبع ، ودائر على [2] مركزه ، الا [ان يكون مؤوفا بطبيعته ، مخلوطاً [3]] بأخلاق بهيميّة ، ومن رفع عصاه عن نفسه ، والقى حبله [على غاربه [4]] ، وسيّب هواه في مرعاه ، ولم يضبط نفسه [عما يدعو اليه طبعه [5]] ، وكان لـيّن العريكة لاتباع الشهوات الرديّة ، فقد خرج عن أفقه ، وصار [ارذل من البهيمة بسوء ايثاره [6]] .

هذا آخر ما ترجمه من هذا الفصل ، وهو كما ترى وعظ بحكمة ، وايقاظ برأفة ، وتعليم بنصيحة ، وارشاد ببيان ، لو روى هذا الحسن [7] البصري ، ومنصور بن عمّار

(١) في ط م : « فسر » ولعله تحريف .

* صححت على منتخب صوان الحكمة م (و) : ١٠٩ ، م ح : ١٥٥ .

(٢) في ط م : « الى » .

(٣) في ط م : « أنه مهموق بطبيعته . ملحوظ » . ولا معنى له .

(٤) لم توجد في ط م .

(٥) في ط م : « عما تدعو اليه بطبعه » . وفي م و ، م ح : عما يدعو اليه بطبعه . وقد أصلحت كما ترى .

(٦) في ط م : « الى أرذل من البهيمة لسوء ايثاره » .

(٧) في م (و) : « للحسن » .

وضرباؤهما [1] ما زادا على ذلك . وقد اتفقت آراء الأفاضل [2] كلّها على اصلاح السيرة ، وتصحيح الاعتقاد ، والسعي فيما أثمر وأجدى ، والاعراض عن كل ما شغل البال ، وأثار الشهوة ، لتبلغ النفس غايتها ، وتسعد في عاقبتها ولا يكون لها عكس في هذا العالم ، ولا تردد على ما قد خوف من ذلك كثير منهم والسلام . »

المقابسة الثانية والأربعون *

[في معرفة الله أضرورية هي أم استدلالية]

قيل لأبي الخير [3] : حدثنا عن معرفة الله تقدس وعلا [4] أضرورة هي أم استدلال ؟ فان المتكلمين اختلفوا في هذا [5] اختلافا شديداً ، وتنابذوا عليه تنابذا بعيدا ، ونحبّ أن يحصل لنا جواب فلسفي [6] على حدّ الاختصار مع البيان .

فقال هي ضرورة من ناحية العقل ، واستدلال من ناحية الحسّ ، ولما كان كل مطلوب من العلم إما أن يطلب بالعقل في المعقول ، أو بالحسّ في المحسوس — قال : وهذا هو الشاهد والغائب — ساغ [7] أن يظن تارة [8] أن معرفة الله اكتساب واستدلال ؛ لأن الحسّ يتصفح ويستقرى [9] بمؤازرة العقل ومظاهرته ، وتحصيله وتفصيله [10] ، وأن يظن تارة أخرى أنها ضرورة ، لإن [11] العقل السليم من الآفة ، البريء من العاهة ، يحث على الاعتراف بالله تقدس اسمه ويحظر على صاحبه جحده [12] وانكاره والتشكك فيه ، ولكن

(١) في م (و) : « وضرباؤهما » .
(٢) في ط م : « الأوائل » .

* صححت على منتخب صوان الحكمة م (و) : ٩١٠ ، م (ح) : ١٦٩ .

(٣) هو أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام .

(٤) في م (و) : « تقدس اسمه » .
(٥) في ط م : « ضرورة »
(٦) في ط م : « في هذا اختلفوا » .
(٧) في ط م : « فيفسر » .
(٨) في ط م : « وساغ » .
(٩) المصدر نفسه : مرة .
(١٠) المصدر نفسه : ويستقوى .
(١١) لم توجد في ط م .
(١٢) في ط م : « إن » .
(١٣) المصدر نفسه : « بجحده » .

ضرورة لائقة بالعقل ، لأن ضرورة العقل ليست كضرورة الحس ، وذلك أن ضرورة الحس فيها جذب واجبار (١) ، وحمل وإكراه ، فأما ضرورة العقل فهي لطيفة جداً ، لأنه يعظ ويلاطف ، وينصح ويخفف (٢) . وكان بعض أصحابنا الوراقين ببغداد يضرب في هذا مثلا : زعم أن مثال الحس في هذا كامرأة حسناء متبرجة ، ذات وقاحة وخلاعة ، قد جلست الى شاب طرير ، له شطر جمالها ، وعليه مسحة من حسنها ، تخدعه بحديثها ، وتراوده عن نفسه لنفسها ، وتبدي له محاسنها ، وتطمعه في تمكينه (٣) منها وتستعجله في حاجتها ، وتحثه على قضاء اللذة والوطر منها .

فأما مثال العقل فكانه شيخ هم قاعد على بعد ، ليس به نهضة للزحوف اليه ، والحيلولة بينه وبين ما قد نزل (٤) به من صاحبته الوقحة الفاضحة ، إلا أنه مع ذلك ، [يلوح بثوب (٥)] ، وينادي بصوب ، يحرك راسه ، ويبسط يده ، ويغظ ويلطف ، ويعد ويخوف ، ويضمن ويرفق ، ويشفق ويحنو ، فأين (٥) تأثير هذا الشيخ المحطم من تأثير هذه الخالبة الغالبة ، المحتالة المغتالة ؟ هذا مع قلة اصغاء الشاب الى الشيخ ، وسيلانه مع هذه .

أراد (٧) بهذا المثل ، الفرق بين العقل فيما يدعوك اليه لتسعد ، والحس فيما يحملك (٨) عليه لتشقى . هذا في جميع [ما تزاوله وتحاوله ، وتهم به وتتوجه (٩)] نحوه ، فعلى هذا فان الله تعالى وتقدس ، معروف عند العقل بالاضطرار ، لا ريب عنده في وجوده ، ومستدل عليه عند الحس ، لأنه يستحيل كثيراً ، ولا يثبت أصلا ، فمن استدل ترقى من الجزئيات ،

(١) في ط م : « واختيار » .
(٢) المصدر نفسه : ويحقق .
(٣) في م (و) ، م (ح) : « في الاستمكان » .
(٤) في م و ، م ج : « فن » .
(٥) في ط م : « ما نزل » .
(٦) المصدر نفسه : « يصيح ويتأوه » .
(٧) في ط م : « وارد » .
(٨) المصدر نفسه : « ويكلمك » ،
(٩) المصدر نفسه وردت هذه الأفعال بصيغة المضارع للفرد الغائب .

ومن ادعى الاضطرار انحدر من الكليات ، فكلا [1] الطرفين قد وضح [2] بهذا الاعتبار، وكفى [3] مؤونة الخبط والاكثار ، وهكذا كل شيء يطلب [4] أصله وفصله بالنظر الفلسفي ، والبحث المنطقي ، والاقتراء الالهيّ ، فاما ما ينظر منه بالخصومة [5] ، فلا يرث الانسان منه الا الشك والمرية والحسبان والظنّة ، والاختلاف والفرقة ، والحميّة والعصبية ، وهناك للهوى ولادة وحضانة [6] ، وللباطل استيلاء [7] وجولة ، وللحيرة ركود واقامة .

أخذ الله بايدينا ، وكفانا الهوى الذي يردينا [8] ، [وصنع الذي [9]] هو أولى به منّا ، والسلام » .

المقابسة الخامسة والاربعون *

[في شيء من مذكرات المؤلف مع بعض الاطباء]

ذاكرت طبيباً شاهدته « بجنديسابور » بشيء من العلم . فما اذكر تلك المذاكرة ، وتلك المسألة ، وتلك الفائدة الاسنح شخص ذلك الشخص ـ وكان يكنى أبا الطيب ـ لعيني ، وتمثل في وهمي [10] ، وحتى كأني أراه قريباً مني [11] ، وحاضراً عندي ! وطال تعجبي من ذلك ، فرأيت أبا سليمان في المنام فسألته عن الحالة [12] التي قد شغلتني بالتعجب منها ، والأمر الذي توالى علي من أجلها .

---

(١) في ط م : « وكلا » . (٢) في م (و) ، م (ح) : قد وضحا .
(٣) المصدر نفسه : وكفيا . (٤) المصدر نفسه : طاب .
(٥) في طم : « في الجدال » . (٦) في م (و) « حصانة » .
(٧) في ط م : في ط م : « استلاء » . (٨) في ط م : « يؤذينا » .
(٩) في ط م : وصنع لنا بالذي . وفي م (و) ، م (ح) وصنع بالذي وقد اصلحت بما ترى .
(*) صححت على نسخة المقابسات المخطوطة بمكتبة الظاهرية بدمشق .
(١٠) في ط : « وتمثل به وهمي » . (١١) في ط م : « معي » .
(١٢) في ط : « الحال » .

فقال لي في الجواب قولا [متقطعاً التأم [1]] من جملته في اليقظة ما انا راسمه وحاكيه في هذا الموضع .

قال : ألم تعلم أن المبدأ والأوّل [2] ، والأصل والعلّة مفتقر اليه بالطبع والضرورة ، ومعترف به بالوجوب الذي ليس فيه مرية ولا شبهة ؟

قلت : بلى

قال : فالثاني مشعر أبداً بالأوّل ، والأول مشعر بنفسه ، والثاني مشعور به أيضاً ولكن [بالأول [3]] ، والأول مع هذا هو الثاني ، والثاني هو الأول ولكن اختلفت الرسوم ، ولم تختلف الحقائق » .

إلى ههنا يخلص لي ما تبينته ، وهو ظاهر [كأنه قال [4]] :

لما كان [مرة صدرت المذاكرة من جهته [5]] وتمت بمطاولته ، وحصلت [6] الفائدة بوساطته ، اشتاقت النفس ، وتلبست بصورته ، وجدانا منها للمبدأ ، ونزاعاً نحو الأول ، واستشعاراً للسكون معه ، لأنها تعشق بالذات أبداً الأوّل ، ويعشق كلُّ أوّل [ما [7]] بعده [8] للنسبة [9] القائمة فيه ، والشية [10] الموجودة به من الأول بالاطلاق ، فكل مبدأ [11] من كل ضرب طبيعي واراديّ ، وفكري وخلقي ، وصناعي وإلـهي ، يحييها ويونسها ، وينفي وحشتها ويعللها [12] ، لتستكمل [13] بذلك شوقها إلى الأول الحق ، الذي

---

(١) في ط م : « ميقظا ما التأم » .
(٢) في ط م : « الأول » .
(٣) في ط م : « ولـكن الأول » .
(٤) في ط م : « كما به قال » .
(٥) « « « : « لما كان من صدور المذاكرة من جهته » .
(٦) في ط : « واتصلت » .
(٧) زدنا « ما » ليستقيم التعبير .
(٨) لم توجد في ط م .
(٩) « للشبة » المصدر نفسه .
(١٠) « والشبه » المصدر نفسه .
(١١) « مريد » المصدر نفسه .
(١٢) في ط : « وتعللها » .
(١٣) في ط م : « ويستعمل » .

هو أول بالاطلاق ، واستكمالها ذلك الشوق هو استدامتها لحالها ، وثباتها على صورتها (١) وطربها على ما حصل لها .

والكلام في الأول والمبدأ ، وفي كل (٢) ما ضرب فيه بسهم ، وانتهي اليه بوجه لا يمل (٣) ولا يشبع منه ، ولولا ان بضاعتي في هذا الفن مزجاة ، وعبارتي عنه منقطعة لكان ما يعقل من ذلك ويستبان أبين مرأى ، وأحلى مسمعاً ، وعلى كل حال فقد كتبت ما أمكن التصرف فيه ، والشغل به ، والزيادة على ذلك تقتضي [تحديد القول على تقرير السؤال (٤)] والجواب ، والتمثيل والايضاح ، فإن نفس الله الخناق ، وأراح (٥) همّاً لازما وجمع شملا منقطعاً ، أتيت على ذلك متوسعاً (٦) ، أو طممت (٧) عليه متلافياً ، إن شاء الله » .

عبد الرزاق محيي الدين

---

١) المصدر نفسه : « في صورتها » .

٢) المصدر نفسه : « في كل » . ٣) المصدر نفسه : « لا يمل ولا يمل » .

٤) المصدر نفسه : « تقتضي بجزيل القول على تقدير السؤال » .

٥) في ط م : « وأزاح » . ٦) في ط : « موسعاً » .

٧) في ط م : « أو اطمت عليه » ، وفي ط أو المت عليه » . واخترنا طمت لانها انسب مع التعدية بعلى . يقال : طمم الطائر تطميماً : وقع على غصن .